صورة من فنون العمارة العسكرية لبعض مدن صعيد مصر
(على ضوء نصوص لوحة النصر الكوشية)

دكتور/ عادل سيد مصطفى
مدرس التاريخ القديم
كلية الآداب - جامعة المنوفية

عندما تعرضت مصر للغزو الكوشي حوالى عام ٧٢٨ ق.م ، تصدت له سبع عشرة مدينة جنوب مصر (خريطة ١) ، أهمها " ونو " (الأشمونين) ونفروس و " تا - دهنت - ورنختو " (طهنا) و" حوت بنو " (الحيبة) و" بر - مجد " (البهنسا) و" ننى نسوت " (إهناسيا المدينة) و" بربج " و" بر - سخم - خبر رع " (عند مدخل الفيوم) وأخيرا " اثث - تاوى " (اللشت أو فى مجاورات بمها) (١) . وقد وصفت نصوص لوحة الغازى الكوشي " بى " (عنخى) - التى نقشت عقب عودته إلى نباتا لتخلد انتصاره - جانبا مما اكتنف هذه المدن من عمارة عسكرية وما اتخذته من تدابير زيادة فى منعتها . ولئن تعرضت نصوص هذه اللوحة لدراسات عديدة يضيق المقام عن الخوض فيها ، إلا أن أغلب هذه الدراسات تناولتها إما بالترجمة ، أو بالتعليق على نصوص الفنون القتالية (التكتيك العسكرى) وتحليل فحواها ، إلا ماتضمنته من إشارات إلى عناصر العمارة العسكرية لهذه المدن ، ومفرداتها فى اللغة المصرية (٢) .

كان الغرض من إقامة التحصينات العسكرية فى هذه المدن - فيما تصوره البعض دون سند مصدرى - هو درء أخطار الأقاليم المجاورة ، فحالوها حروبا اهلية يشتد وطيسها بين الحين - والآخر حول حدود الأقاليم ، استوجبت إقامة القلاع والحصون ، وغيرها من أنماط العمارة العسكرية فقد رأى " شبلنجر " أن كل حاكم من حكام هذه المدن كان مضطرا إلى الدفاع بعنف وضراوة عن قلاعه إزاء هجوم الأقاليم المجاورة (٣) . وراح " ديفيد اوكونر " يدعم هذا الرأى ويحاول سبر أغوار نهاية الدولة الحديثة ، لعله أن يجد مبررا لهذه العمارة العسكرية ، فهو يرى أن ظهور المدن المحصنة والمسورة ، إنما بدأ منذ أواخر عصر الدولة الحديثة ، وما التحصينات الضخمة بمعبد رعمسيس الثالث (مدينة هابو) إلا مؤشر على

وجود نماذج مماثلة فى أماكن أخرى ، وأن هذه العمارة بلغت ذروتها منذ نهاية القرن الثامن ، حيث أشارت لوحة النصر الكوشية إلى تسع عشرة مدينة محصنة ، تبدأ من مصر الوسطى وعلى طول امتداد النهر شمالا حتى الدلتا ، وهى تعكس أو تصور حالة من الاضطراب والحرب الأهلية والغزو فى هذا العصر ، وأن أغلب التغييرات الإدارية إنما صحبتها فى العادة إضافات فى عمارة هذه الحصون (٤) .

ولكن هناك بعض التلميحات التى وردت فى نصوص لوحة النصر ذاتها ، تتصل بالغرض من تلك الحصون ، منها

أولا : أن كل المدن الواقعة على الضفة الشرقية لنهر النيل مثل (" حوت بنو " و " تاى – وجاى " و " وحوت نسوت " و " برنب تبواحت ") كانت مدنا غير محصنة (باستثناء طهنا) إذ لم تتحدث نصوص اللوحة عن اقتحام هذه المدن – عسكريا كسائر المدن لامن جانب القوات الكوشية ، ولا (بعنخى) نفسه ، بل إن الإشارة الوحيدة إليها – عندما فتحت لـ " تاف نخت " – خلت من أية تلميحات إلى أسوار أو حصون (٥) . أى على النقيض تماما من وصفها لحصون وأسوار مدن الغرب قاطبة .

ثانيا : أن مدينة مثل " بر – مجد " (البهنسا) لم تكن لها تطلعات عسكرية ، ودواعى موقفها هذا – طبقا لدارسة كسلر التى خص بها الأقاليم الإدارية فى نصوص لوحة النصر – أن " بر – مجد " كانت تهيمن على طريق القوافل المتجهة إلى واحة البحرية ، وعلى حركة المواصلات على امتداد بحر يوسف فى الوقت ذاته (٦) .

ثالثا : أن نصوص اللوحة أشارت إلى ماسلكه " نمرث " من هدم أسوار نفروسى ومدينته ، بينما استعصت على " بى " عند حصارها (٧) ، وهو مايحمل على الاعتقاد بإعادة تحصينها ضد الغازى الكوشى .

رابعا : أن " بى " عند وصوله إلى " منف " وجد أن أهلها زادوا فى استحكامها ببناءات جديدة (٨) .

ويستنتج من ذلك أن إقامة هذه التحصينات إنما تركزت فى الغرب دون الشرق ، ليس لأسباب محلية بقدر مايشير إلى أخطار خارجية تردد صداها منذ أواخر الأسرة العشرين

مرارا ، وقد تمثلت فى تلك الموجات التي دأبت قبائل الماشواش والربو عل شنها ، إذ وجدت طريقها بسهولة إلى طيبة ومصر الوسطى والدلتا (٩) ، وكانت أخطارها لاتزال كامنة فى أفق الغرب حتى الغزو الكوشى لمصر (١٠) التى زادت فى تحصين مدنها إزاءه . أما القول بغير ذلك فهو يناقض وحدة الدلتا ومدن صعيد مصر ضد الغازى الكوشى ، كما يتجلى من المصدر ذاته الذى يخلد انتصاره .

تضمنت لوحة النصر عددا من عناصر العمارة العسكرية التى اكتنفت مدن صعيد مصر ، وعلى الرغم من ذلك فلم تقدم إلينا إطارا مفصلا لتحصينات مدينة بعينها ، إلا ما أشارت إليه من تحصينات فى مواضع متفرقة ، لتثير أمامنا بضعة محاور لتساؤلات ، حول طبيعة هذه العناصر المعمارية ، وتحقيقها من الوجهة اللغوية ، فضلا عن أهميتها ، وأين هى من آثار الحصون والقلاع وتمثيلها فى المناظر ، وهل فى تجميعها أخيرا ما ينهض دليلا على تصور محتمل لشكل هذه المدن المحصنة ؟

- سبتى (نصوص ١-٤،٧،٨)
- ختم (ختمو) (١١) (نصوص ٤،٥،٦)
- ثسم (ت) أو ثسمو (ت) (نصوص ٧،٨)
- سات (ساوت) (نصوص ٥،٩،١٠-١٢)
- انبو (ت) (نص ٤)

ترجم البعض " سبتى " (فى نص رقم واحد) لتعنى " بوابة " أو " بوابة محصنة " (١٢) بينما رأى البعض فيها " سور دائرى " يكتنف المعبد أو المدينة لحمايتها (١٣) وذهب " جريمال " (وهو أحدث من تناول نصوص اللوحة بالترجمة والتعليق) إلى أن " سبتى " يمثل اصطلاحا فنيا عاما يشير إلى تحصينات مكان ، وترجمها بمعنى " سور " فى الفقرة ذاتها :

" [Aucune] enceinte [des] nomes du sud n' a ferme < ses portes>(١٤)

وقد اعتبر أن أبوابها يجب أن تشغل الفراغ المهشم فى النص . ولكن العلامة ▭ تستوجب قراءتها (Syllabic) أى ليست مخصصا للفعل " ختم " (١٥) ليقرأ

النص (ن ختم برن سبتي ... نو سبوت نو رسى) أى لم تغلق بوابة (أوباب مجازا) سور (١٦) فى أقاليم الجنوب " .

ولعل هذا الباب يشير إلى النقاط الحصينة فى " سبتى " ، والتى أشارت إليها النصوص بعبارات متباينة :

- فعند حصار " بر سخم خبر رع " (نص ٥) : ختم. ف ختم (أى قلعته مغلقة) .

- وعند حصار " إثت تاوى " (نص ٤) : جم ن. ف سبتى ختم (أى وجد سوره محكما (أو مغلقا) .

- وعند منف : (١٧) (عندئذ أغلقوا قلعتهم) .

كما أن هذه القلاع كانت تشرف على مداخل المدن ، التى لايتأتى الاستيلاء عليها إلا بسقوط تلك القلاع (١٨) التى تعد بوابات " سبتى " .

ويتصل بـ " سبتى " تحصينات أخرى عساها أن تتجلى مما أشارت إليه نصوص وصف تحصينات " منف " ، ونعنى بها شمو (ت) :

- سبتى قد (١٩) شسم (ت) ور (نص ٧) أى (سبتى عمر بـ (أو تكتنفه) شمست عظيمة ..)

- عحع ن حم . ف مآ . س م نخت سبتى خى م قد ن مآو شمو (ت) = (نص٨) أى (عندئذ رآها جلالته منيعة ، سورها رفع بعمارة جديدة شمو (ت) (٢٠) .

ترجم " برستد " كلمة " شمت " بمعنى " شرفات " Battlements (أو فتحات جدارية يصوب المدافعون من خلالها) ، وترجمها " جاردنر " و " جريمال " بمعنى " سور أو متراس " وأنها تمثل – على رأى جريمال – نظاما دفاعيا خاصا (٢١) . على الرغم مما أورده " جاردنر " من شواهد عديدة تمثل " شسمت " جزءا من سور ، وتطابق قاعات تحمل اسم " عنرت " (شرفة علوية تطل على البحر يقعد فيها أمير جبيل) (؟) ، بينما رأى فيها " شولمان " أبراج زوايا الحصن(٢٢) وأثبتها المعجم " جزءا من السور الذى يكتنف حصنا أو معبدا ويستخدم فى الأغراض الدفاعية (٢٣) .

إن ترجمة " شمت " بمعنى (سور) قد تخرجنا عن المعنى الدقيق ، لاسيما وأنها تمثل جزءا من سور (سبتى) ، أما أن تعنى (حاجز أو متراس) لهذا السور فقد تبدو أكثر

قبولا ، خاصة وأن النص يشير إلى أنها زادت هذا السور منعة (عبر م نخت ن جم تو وات نت عحا ر. س) . ولايظن أن هذه المراكز الحصينة (شسموت) على امتداد السور (سبتى) – طبقا للمعجم – كانت تخلو من حامية أو قوات ، تتخذ لنفسها ساترا فى شكل أبراج كما ذهب " شولمان " أو شرفات كما تصور " برستد " . وإن صح أن كل هذه التفسيرات لكلمة " شسموت " مجتمعة هى توصيف لهذه النقاط العسكرية ، وإن تناولتها من جوانب مختلفة ، فعساها تلك الأبراج أو الشرفات المنخفضة التى تكتنف السور الخارجى (سبتى) ، كما فى حصن بوهن (عصر الدولة الوسطى ، شكل١) . وتصل ارتفاعاتها إلى سبعة أمتار ونصف ، بينما لايتجاوز ارتفاع السور "سبتى " الذى أقيمت عليه ستة أمتار ، بما يشير إلى أنها أقيمت أعلى هذا السور كما يصفها النص ، ولعل أشكالها أن توحى بما سبق أن أثاره " جاردنر " بأن لكلمة " شسمت " علاقة باسم الكلب (شسم) ، إذ تبدو كما لو كانت قاعية أو رابضة ، فضلا عن وظيفتها الرئيسية فى مطاردة المهاجمين للمدينة إلى جانب معاونة جنود الحامية الذين يعتلون الأسوار العالية ، كما سيتضح من دراسة اسمها فيما بعد .

ويستنتج مما تقدم أن الـ " سبتى " سور خارجى يكتنف المدينة ، وله أبواب تحميه قلاع (ختمو) وتتوزع الـ " شسموت " على امتداد هذا السور لتشكل مراكز دفاع أمامية لرد المهاجمين ومطاردتهم . وإذا كانت نصوص لوحة النصر قد أشارت إلى " شسموت " منف فقط ، فلأن إتقان عمارتها وإخراجها وإنما قد لفت نظر مؤلف النص أو الغازى الكوشى ، فضلا عما نالته تلك المدينة عبر العصور من تحصينات كان من بينها عمارة الـ " شسموت " التى شاعت فى عصر الدولة الوسطى ، ولا يعنى ذلك أن كل أسوار مدن جنوب مصر قد خلت منها !

إن موقع الـ " ساوت " من تحصينات مدن (" طهنا " و " بر سخم خبر رع " و " إهناسيا المدينة " و " منف ") وفقا للنصوص (٥،٩،١٠–١٢) غير معروف . وقد ترجم " برستد " و " جريمال " كلمة " سات أو ساوت " بمعنى سور أو أسوار (٢٥) ، وإن أضاف " جريمال " أنها تعد جزءا من الـ " سبتى " ، إلا أن ترجمته لسائر عناصر هذه العمارة العسكرية على أنها " جدران أو أسوار " – وفق المخصص العام [ ] – دون تحديد أو توصيف فنى لها قد يقلل من قيمة هذه الترجمات وأهميتها . فموقع الـ " ساوت " ، ومالها من علاقة بـ " سبتى " إنما يتضح من وصف تحصينات منف ، إذ تعرض النص إلى ذكر " سبتى " فى موضعين :

أولهما : عند وصف منف بأنها محاطة بهذا الـ " سبتى " ... والنهر يجرى حول جانبها الشرقى (نص٧) .
ثانيهما : عندما وصل " بى " صباح اليوم التالى إلى شمال المدينة ، فوجدها منيعة ... إلا " أنه :

" (٢٦) جم ن . ف مو ردى وات ر ساو (ت) "
أى (وجد الماء سلك طريقا إلى ساو (ت) . فانقطع من هنا ذكر " سبتى " ، وصار التعامل فى الهجوم على المدينة بتسلق الـ " ساوت " مباشرة (نص١٢) لأسباب أهمها : أن الماء أغرق الـ " سبتى " ، وأوضحت السفن ترسو عند (ساوت ؟) (٢٧) وكان ذلك باعثا على تلك الفكرة التى تفتقت عن ذهن الغازى ، بتثبيت السفن إلى جوار بعضها بحبال مقدماتها التى شدت إلى بيوت المدينة (٢٨)
وثانيا : أن سائر الاقتراحات التى طرحت بين يدى مجلس حرب الغازى إنما اتخذت من " ساوت " نقطة البداية فى اقتحام المدينة (نص١١) – خى ن سائو ر ساو (ت) . س (٢٩) نرفع الأرض إلى (جوار) ساو (ت) – ها " وقد أمر " بى " على التو بأن (نص١٢) : سنب (٣٠) ساو (ت) عق برو حرى تب اتر " أى (اعتلوا الـ ساو (ت) وادخلوا البيوت المطلة على النهر) .

ولكن هل غرق الـ " سبتى " بمياه الفيضان حقا كان سببا فى تنفيذ الاقتراح بإقامة منحدر أرضى على الـ " ساوت " مباشرة ، لا الـ " سبتى " ذاته ؟ لعل ذلك يتبين من إشارة النصوص ، عندما تقدم " بى " إلى إقليم الأرنب (الأشمونين) عقب الاحتفال بعيد " أوبت " فى الشهر الأول من فصل الفيضان ، اليوم التاسع (نص٣) : " ايرت ثررى ر حبس سبتى ثس باك ر سخى ستيو حر ستى خاعو حر خاع عنو " أى (جعل منحدر أرضى (٣١) لتطويق سبتى ، رفع نصب خشبى (سلم ؟) (٣٢) لرفع الرماة ، عندما يرشقون والراجمات (أو النبال)(٣٣) عندما ترمى بالحجارة)

ويتجلى من ذلك أن " بى " إنما اتبع الخطة ذاتها التى نفذها ضد منف ، ولكن وجه الاختلاف أن المنحدر الأرضى هنا أحاط بالـ " سبتى " وليس الـ " ساوت " ، فعسى أن يكون لنا فى قراءة التاريخ ما يبرر ذلك ، إذ يكون الفيضان على أشده فى الشهر الثالث تقريبا ، ربما عندما وصل " بى " إلى منف !

ويستنتج من كل ماتقدم أن " ساوت " ليس جزءاً من " سبتي " ، بل منفصل عنـه تمامـا ، وأن هذا الأخير استحكام ضخم يشكل خط الدفاع الأول عن المدينة ، وهو أقل ارتفاعـا – كمـا سبق وأشير – من " ساوت " . وإذا كان " بي " لم يوضح أسلوب تسلقه ، إلا أن اقتراح بعض رجاله بإقامة منحدر أرضي (ساثو أو ثررى) ، ثم ترفع عليه سلما خشبيا (باك) لبلوغه – إنما يضعنا أمام تصور وتقدير ذاتي لما كان عليه الـ " الساوت " من ارتفاع يجعلـه كفئـا لخـط الدفاع الثاني عن المدينة ، وهو استنتاج قد يصدقه ماتقدمه كلمة " سا (سـات < ساوت) مـن مترادفات عديدة ، كالظهير والحامية والسند (٣٤) . أما من حيث دلالتهـا الفنيـة والمعماريـة ، فهي دعائم جدارية ، تشكل نقاطا حصينة على امتداد ظهير " سبتي " (السـور الخـارجي) ، كما يتجلى من وصف حصار " تاف نخت " لمدينة " نن نسوت " ، عندما حدد لكل حـاكم مـن حكام المدن مهمته (نص٩) : حاتي عا نب رخ سا (ت) . ف دي . ف س نب حمس حر بسش . ف م حاتيو – عا ، حقاو حوت أي (إن كل أمير يعرف ساته ، جعل (أي تـاف نخت) كل رجـل يمكـث عند قسمه (٣٥) (المنوط بـه) من الأمـراء العظـام ، حكـام المـدن المسورة) .

إن " سات " في صيغة الإفراد تشير إلى تعدد وامتداد هذه الدعائم الجدارية التي وصفتهـا نصوص اقتحام (بر سخم خبر رع) بأنها ناهضة أو عالية (نص٥) : جم ن . ف بر سـخم – خبر رع ساوت . ف شسي(ت) (٣٦) ختم . ف . ختم .

ويبدو أن الـ " ساوت " تتطابق مع معنى " انبو " ووظيفته ، إن لم تكن هذه الأخيرة جزءا منها ، فقد وصف (نص٤) حال " اثت تاوى " : " جم ن . ف سبتي ختم انبو مح م مشع قن نو تا – محو " أي (وجد سبتي مغلقا ، انبو مفعمة بجنود الشمال الشجعان) .

فمن المحتمل أن " إنبـو " حلت هنـا محـل " سـاوت " لتميزهـا عـن " سـبتي " ، إذ كـانت " إنبو " – وفقا للنص – على مستوى مـن الارتفـاع عـن " سبتي " يسـر معـه للغـازى " بـي " رؤية مابها من جنود . ومن الصعب ترجمـة " إنبـو " بمعنـي (جـدران ضخمـة) كمـا ذهـب " جريمال " (٣٧) فإن صح أن " إنبو " في صيغة الجمع لتلك الواردة في (أجرومية امنموبي : [hieroglyphs] (٣٨) فإنمـا تسـتوجب قراءتهـا (إنبـوت) مثـل (سـات وسـاوت) ، ولاتعنـي جدرانـا علـى وجـه الدقـة (فـالجدران لا تمـلأ بـالجنود) بقدر مـايومىء المخصـص ([hieroglyphs] بعد [hieroglyphs]) من إشـارة إلـى أمـاكن تعلـو الجـدران أو المتـاريس ، محصنـة بسياج ذي

زخارف ، كما يتبين من صيغة المفرد المؤنث ، الذى أثبته المعجم (٣٩) . فالمخصص الأخير لهذه الكلمة يشير إلى الزخرفة التى تتوج الحافة الدائرية لشرفات الأبراج الناهضة ، التى تصور دعائم ومتاريس – ناتئة فى هيئة نصف دائرية – (ساوت) لأسوار الحصون (شكل ٢،١) (٤٠) . وكانت هذه الشرفات أو المنصات التى تعلو الـ " ساوت " تفعم بالجنود ، إذ تتخذ منها ساترا ، وتجعل زمام السيطرة وردع المهاجمين فى يد أولئك الجند ، الذين كان بوسعهم أن يمطروا العدو بسهامهم من عل . واكتنفت هذه الشرفات أو المنصات منذ عصر الدولة الوسطى كوات (مزاغل) ، رؤى الاستغناء عنها منذ عصر الدولة الحديثة ، خاصة فى حصون النوبة ، إذ أدرك المصريون أن وقوف الرماة فى خنادق متصلة أعلى المتاريس (ساوت) وعلى ارتفاع عشرة أمتار ، لهو نظام دفاعى أكثر فعالية لرشق المهاجمين (٤١) . ربما لأنه كان يتيح مساحة أوسع من الحركة للمدافعين .

كما تتجلى هذه الـ " انبوت " أيضا فى بقايا منظر بالرمسيوم لقلعة " دابور " السورية التى استولى عليها رعمسيس (الثانى) (٤٢) ، إذ صورت خنادق متصلة ومكشوفة أعلى متاريسها وأسوارها ، وقد خلت من كوات ، ومانراه فى تصميم الحواف العليا لجدران هذه المنصات من أهمية دفاعية – ربما وفق وجهة نظر المهندس العسكرى – فى التصويب من خلال وحدات هذا التصميم قد تتلاشى هذه الأهمية ازاء تصوير المدافعين ، وقد وقفوا وصدورهم فى وضع مكشوف دون ساتر ، لم لا ! وارتفاعها لايتجاوز خاصر المدافع ! (يقارن منظر ١) .

ليس هناك ماهو أكثر أهمية مما تلقيه بقايا منظر قصر " آشوربانيبال " – فى " نينوى " بالمتحف البريطانى (٤٣) – من أضواء على تصميم جانب من تحصينات العصر ذاته . إذ يصور جانبا من المعارك التى دارت رحاها إبان غزوه لمصر حوالى ٦٦٧ أو ٦٦٣ ق.م (٤٤) لاسيما الحصار الذى طوق به إحدى مدن صعيد مصر ، يرجح أن تكون طيبة ؟ (منظر ١ ، شكل٢) (٤٥) . وتحملنا تفاصيل تحصينات هذه المدينة على مطابقتها مع تلك العناصر المعمارية ، والمفردات اللغوية التى طرحتها لوحة النصر الكوشية ، إلا أن هذا التطابق يستوجب تحديد ثلاثة عناصر رئيسية تضمنها المنظر :

أولا : السور الدائرى المنخفض (٤٦) الذى تتسع منصته لوقوف مهاجمين – على الأقل – إلى جوار بعضهما يوجهان سهامهما فى ساحة تتيح حرية التحرك (إلى اليمين من المنظر) . ويلاصق هذا السور منحدر أرضى ، كان قد أقامه الآشوريون ، على مايبدو لارتياد هذا

السور ، إذ كان يمثل أولى العقبات التى يتعرض إليها مقتحمو المدن والحصون(٤٧) وقد صور المنظر نزول الأسرى من الليبيين والكوشيين من فوقه (٤٨) وسط حراسة آشورية مشددة .

ثانيا : رفعت ثلاثة سلاليم فوق السور الدائرى لترتكز أطرافها العليا على المتاريس البرجية والجدران الخلفية ويرتقى هذه السلاليم رماة الآشوريين ، وحاملو التروس .

ثالثا : يظهر آشوريان (إلى اليسار) وقد هما بنقب قواعد المتاريس لتقويضها باستخدام آلات النقب التى تبدو فى شكل الخوابير (أو العتل) ، كما تظهر كتل الحجارة أو الطوب المقلوع وقد تطايرت ، حاول الفنان أن يبدى بها همة وحركة فى الإنجاز .

ويستنتج من توصيف المنظر هنا . أن السور المنخفض والمنحدر الأرضى الذى رفع ملاصقا له ، والسلاليم الخشبية التى يرتقى عليها رماة الآشوريين ، ما هى إلا ترجمة حركية وتطبيقية لخطة حصار إقليم الأرنب ، من حيث إقامة منحدر أرضى (ثررى) ملاصق للسور المنخفض المصمت (سبتى) ورفع النصب الخشبية أو السلاليم (باك) ليرتقى من فوقها الرماة (نص٣) ، وقد إتبعت الخطة ذاتها – كما سبق – إزاء " متف " ولكن الاقتحام بدأ بالـ " ساوت " لا الـ " سبتى " الذى أغرقته مياه الفيضان . ولكن هل المتاريس التى استندت إليها الأطراف العليا للسلاليم فى منظر قصر " آشور بانيبال " هى – كما سبق – الـ " ساوت " الظهير لـ " سبتى " (؟) .

ليس لدينا سوى دليل نصى واحد ، يتبين من حصار " تا دهنت ور نختو " (طهنا) عندما حاربها الكوشيون ، وقد وجدوها مفعمة بجنود الشمال الشجعان (نص١٠) :
عح ن ايرت يون – ن – مس ر . س سغنن ساو (ت) . س . أى (عندئذ استخدمت آلة النقب ضدها ، فهدمت ساو (ت) ها ".

وهذه هى الإشارة الوحيدة التى أوردتها نصوص لوحة النصر فيما يتصل باستخدام آلة نقب الجدران ولكن هل هى ذاتها التى صورت فى أيدى جنود " آشور بانيبال " (؟) .

لقد تعرض اسم هذه الآلة (يون – ن – مس) للعديد من التفسيرات ، ومع ذلك ليست هناك ترجمة أو توصيف قاطع لها . فهى المنجنيق على رأى (برستد وشولمان) أو برج

خشبى مزود بمنجنيق على رأى آخر ، أو سلم للارتقاء على رأى ثالث ، بينما أثبتها المعجم " هادم الجدران " (٤٩) وقد ناقش " جريمال " سائر الآراء ، ورجح الترجمة الحرفية للإسم (برج الاقتراب) أو هو (برج متحرك ؟) ، وقد استند إلى أن هدم الأسوار ليست له علاقة بآلة خشبية . وإن آثار شكوكه فى موضع آخر من مؤلفه (٥٠) . فإن صح أن الفعل " سغنن " (لا سشنن كما قرأه جريمال) (٥١) فعل سببى Causative verb لـ " غنن " (٥٢) فلعل ذلك يشير إلى أن هدم الـ " ساوت " كان نتيجة مباشرة لنقبه وتقويضه بهذه الآلة ، فهى إذن آلة نقب وتقويض لاهدم . وهذا يستوجب تفسيرا جديدا لهذه الآلة ، مع استبعاد ترجمة " يون " إلى " برج " ، بل على الأحرى " عمود " أو " دعامة " خشبية " (طبقا للمخصص)(٥٣) .

أما فعل (مس) فله مترادفات عديدة ، اللافت فيها : " أدخل " و "شد أو جر " (٥٤) ولنا أن نختار منهما واحدة أو نختارهما معا : بمعنى (عمود الدخول أو عمود الشد والجر أو حتى عمود الدخول والجر أو الشد) ، ولما كانت هذه الالة تتعامل مع الجدران ، فإن وظيفتها – وفق الترجمة – اقتلاع الحجارة ، وهى تمثل عصا غليظة ، ربما ذات سلاح معدنى مستطرق أو مدبب يولج فى الجدران ثم يشد بأسلوب عمل العتلة ليخرج قوالب الحجارة ، لذلك فإن من بين مترادفات (مس) " يجلب " (٥٥) ، وهى آلة أولية بسيطة استخدمت – على الاقل – منذ بداية الأسرات (٥٦) ولعلها بذلك أن تطابق تلك المصورة فى منظر قصر " آشور بانيبال " .

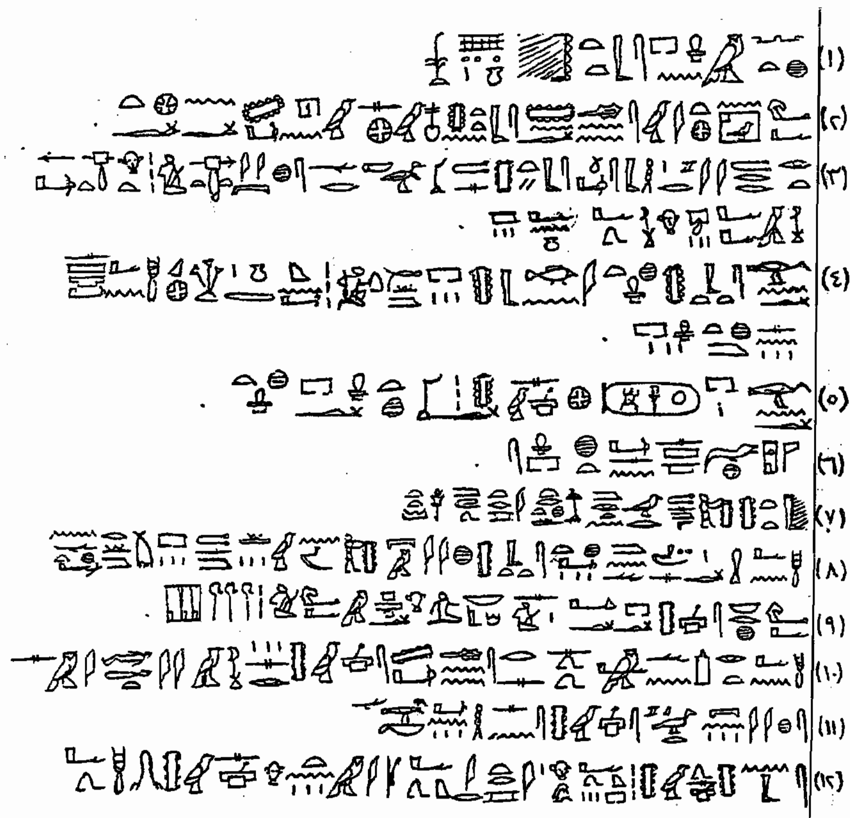
ولقد ثبت فى غير موضع من البحث أن الـ " سبتى " يمكن السيطرة عليه من خلال الساتر أو المنحدر الأرضى ، أما الـ " ساوت " فقد استخدمت هذه الآلة البسيطة لتقويضها بما يشير إلى أن المتاريس البرجية الخمس (ليست أربعة كما رآها " برونر ") (٥٧) كانت تمثل الـ " ساوت " ، وهى على غرار تلك المصورة فى قلعة دابور ، وحصون النوبة ، من حيث خنادقها العلوية وشرفاتها ، وتصميم حوافها وإن زادت عليها تلك الشرفات الجدارية التى يقف فيها بعض المدافعين عن المدينة ، كما صور إلى جوارها – لأسفل بقليل – بابين إلى اليمين واليسار لعلهما يؤديان إلى داخل المدينة . فيشير نص حصار (طهنا) إلى أنه وقعت مذبحة عظيمة فى وسط المدينة (خايت عات ايم . س) ، عقب هدم الـ " ساوت " مباشرة .

خلاصة وتعقيب

لم يكن تشييد عمارة المدن العسكرية فى مدن صعيد مصر إلا لـردع الأخطـار الخارجيـة التىأزعجت البلاد ، سواء كـان مصدرهـا الماشواش والزبـو فـى الغـرب أو الكوشـيون فـى الجنوب – ويمكن استخلاص العناصر الرئيسية لعمارة التحصينـات العسـكرية بمـدن صعيد مصر على وجه الخصوص ، من حيـث اشـتمالها علـى سـور دائـرى ضخـم (سـبتى) كـانت تكتنفه سواتر جدارية (شموت) ذات شرفات ترتفع عن مستوى السور ، بها كوات أومزاغل يصوب من خلالها أهل المدينة . وتعد مع الـ " سبتى " خط الدفاع الأول عن المدينـة . وتـأتى الـ " ساوت " لتمثل خط الدفاع الثانى (حامية المدينة) ، الأعلى ارتفاعا ، وتمتد الـ " ساوت " على امتداد هذا الخط لتصور متاريس برجية ناتئة عن الجدران فـى هيئـة نصـف دائريـة ، وتعلوها منصات أوشرفات متصلة بخنادق تعلو الجدران يطلق عليها اسم (انبوت) ، وتتمـيز حوافها العليا بتصميمات ⌓⌓ جعلت سواتر للرماة من فوق المنصـات ، ولانعرف إن كـان هؤلاء الرماة لم يدركوا وظيفتها الرئيسية وأهميتها فوقفوا وصدورهـم فـى وضـع غـير آمـن ودون ساتر ، أم أن الفنان تغافل عن توظيف هذه التصميمات رغبـة فـى اظهـار المدافعين ! وتكتنف هذه الـ " ساوت " أبـواب يظـن أنهـا أبـواب المدينـة ، والتـى أشـارت إليهـا النصـوص مقترنة باسم " ختم " (أى قلعة أو حامية) وهى تسمية عامة تشـير إلـى النقـاط الحصينـة فـى الأسوار خاصة الـ " ساوت " فالاستيلاء عليها يعنى سقوط المدينة كما إتضـح فـى " طهنـا " و " منف " حيث كان على الكوشيين أن يقتحموا المنازل عقب اعتلاء الـ " ساوت " .

وقد يبدو من العبث محاولة المطابقة أو حتى مقارنـة أطلال مدن صعيد مصر القديمة مـع هذه العناصر من العمارة العسكرية بعد مضى مايقرب من ألفين وسبعمائة عام يظن أنها نـالت جانبـا كبيرا مـن التطويـر والتغيير عبر العصـور ، إلا إذا كـانت قد هجـرت عقـب الغـزو الكوشى . ولكن من المحتمل تصور طابع تحصينات هذه المدن وفقا للعناصر المعماريـة التـى أشارت إليها نصوص اللوحة موضوع هذا البحث . فالإشارة إلى " سبتى " مدينـة الأشـمونين واللشت أو مجاورتها (بمها أو متانيا) ، ومنف إنما يستنتج منهـا طـابع تحصـين هذه المـدن الثلاثـة بـأن اشـتمل علـى سـائر العنـاصر المعماريـة السـابقة ، ويغلـب علـى الظـن أنـه طـراز تحصين عصر الدولة الوسطى (حصن بوهن ومرجيسة) ، على الرغم من إشارة النصـوص إلى " شمو " منف فقط ! . أما مدن أخرى مثل " طهنا " و " بر سخم خير رع " (عند مدخـل الفيوم) و " إهناسيا المدينة " . فكان اقتحامها بـاعتلاء الـ " سـاوت " مباشـرة (باسـتثناء منـف وقد سبق بيانه) أو بتقويض هذه الـ " ساوت " وهدمها (كما فـى طهنـا) أو الحصـار السلبى

لـ " ساوت " إهناسيا ، الذى باشره " تاف نخت " ، دونما إشارة إلى " سبتى " . أى أن هذه المدن اعتمدت على خط دفاع واحد ، وربما شاع هذا الطراز فى عصر الدولة الحديثة خاصة فى حصن بوهن . فبينما تصف النصوص منعة مر – تم (ميدوم) واستغلاقها على الغازى دون وصف لعناصر التحصين عجل مؤلف النص دون سابقة (دى ن . س عحا م ايب . س) أى جعلت الحرب فى قلبها (؟) ، أما ما بقى من مدن صعيد مصر خاصة تلك الواقعة على الضفة الشرقية للنيل فلم تشر النصوص (باستثناء طهنا) إلى مالها من حصون إن وجدت . ولعلنا نجد فى منظر قصر آشور بانيبال أصدق مثال لشكل وطبيعة تحصينات جنوب مصر التى يمكن مقارنتها ، إن لم يكن مطابقتها مع تحصينات الأشمونين (إقليم الأرنب) ، فضلا عما انتواه الفنان من تصوير دونها من مدن صعيد مصر .



(1) GSTP, P1. V, 1. 3-4

(2) GSTP, P1. V, 1. 7.

(3) GSTP, P1. VI, L. 32.

(4) GSTP, P1. 1X, L. 83

(5) GSTP, P1. 1X, L. 77.

(5) GSTP, P1. X11, L. 145

(7) GSTP, P1. 1X, L. 88.

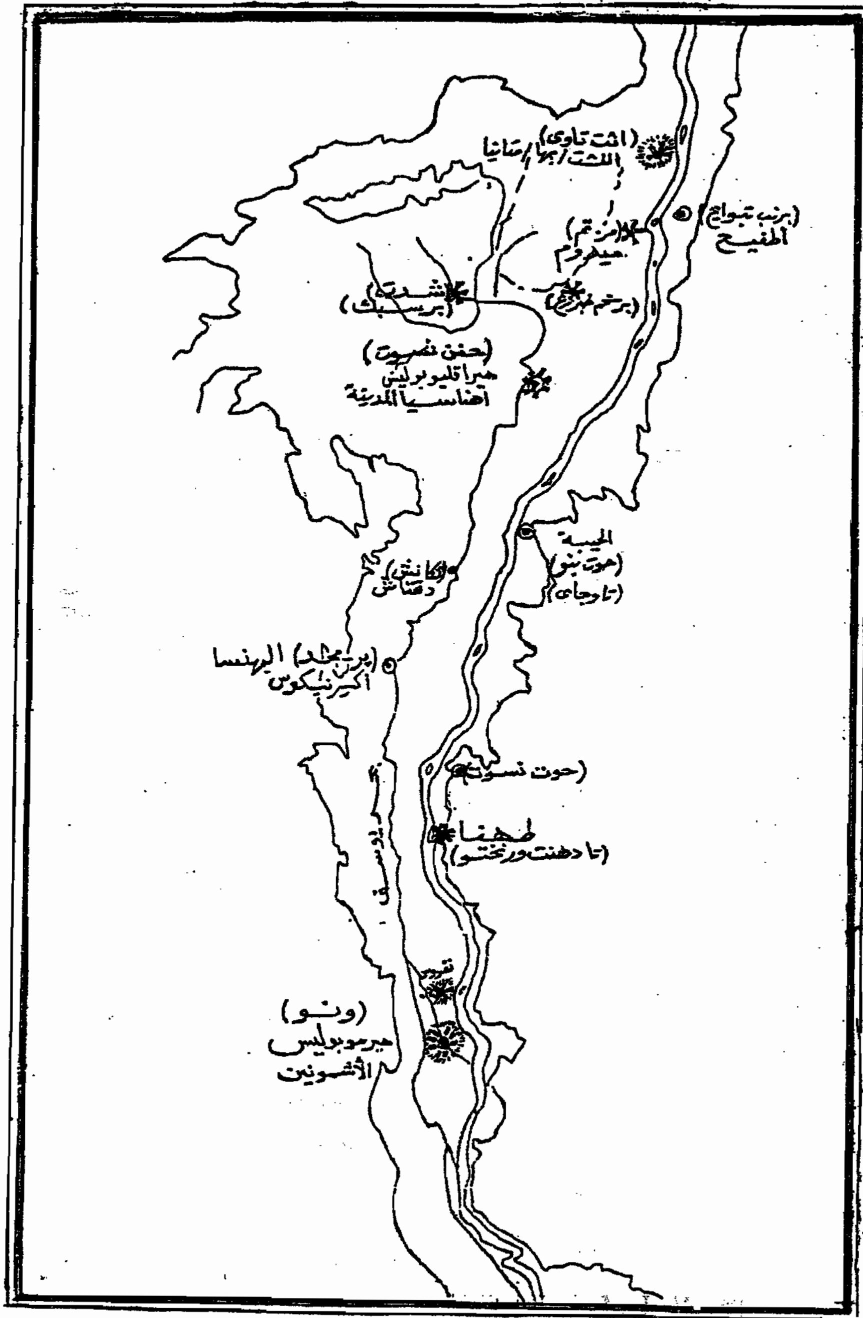
(6) GSTP, P1. 1X, L. 90.

(9) GSTP, P1. V, L. 5.

(10) GSTP, P1. VI, L. 28.

(11) GSTP, P1. 1X, L. 91

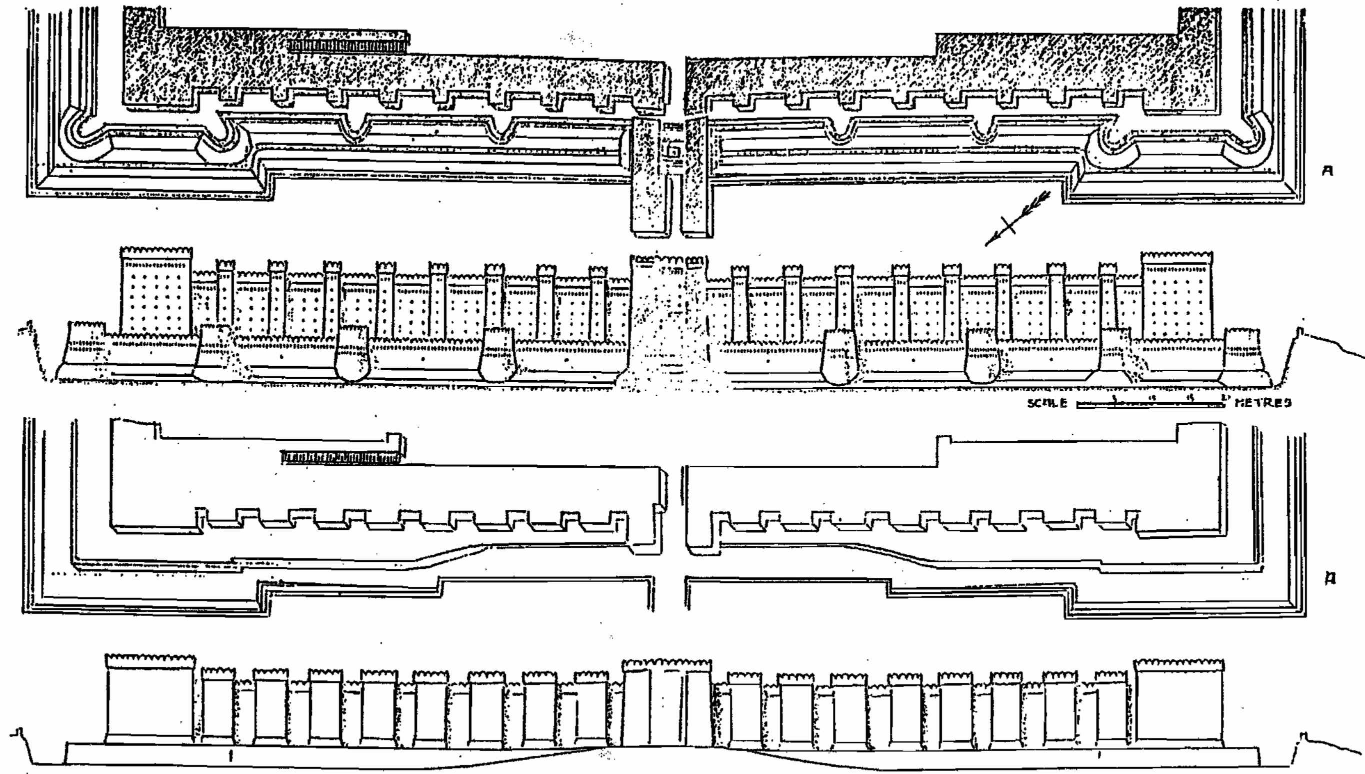
(12) GSTP, P1. 1X, L. 95.



خريطه رقم (١) بأهم مدن صعيد مصر المحصنة

مدن ذات أسوار مزدوجة ⊙ مدن غير محصنة ؟ مدن محصنة بـ " ساوت فقط"

After, Kessler, SAK, 9, 1981, p, 221

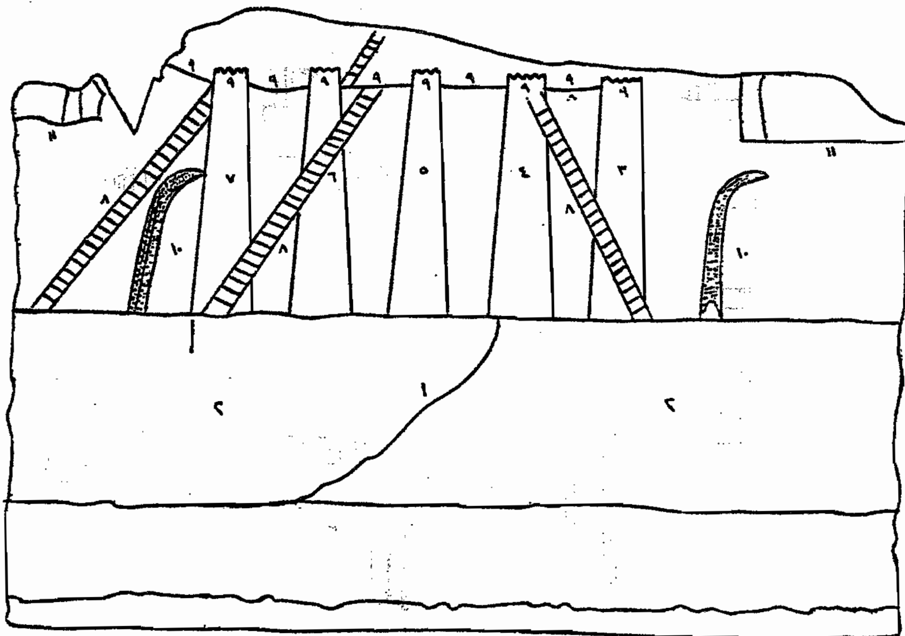


شكل (١) تخطيط ومنظر أمامي لحصن بوهن في عصري الدولة الوسطى (لأعلى) والدولة الحديثة (لأسفل)

After, Curto, The Military Art of the Ancient Egyptians, Turin 1971.



After,Smith,Inter-Connection in Ancient Near East,Fig.163. (منظر١)



(شكل ٢) إعداد البحث (١) ثري (منحدر أرضي) (٢) سبتي (السور الخارجي للمدينة) • (٣-٧) ال ساوت (المتاريس البرجية) (٨) باك (سلم أو حامل خشبي) • (٩) إنبوت (شرفات وخنادق المتاريس البرجية) • (١٠) بابا المدينة • (١١) شرفة جدارية

حـواشـى البحـــث

يراجع عن مواقع هذه المدن :

(١) Gardiner, A..H., AEO. * = Gardiner , Ancient Egyptian Onomastica, Vol. II, Oxford 1947; Montet, P., Geographie de l'Egypte Ancienne, part. II, Paris 1960; Helck, W., Die Altagyptischen Gaue, TAVO, n.5, Wiesbaden 1974 .

(٢) ينظر عن هذه الدراسات حتى عام ١٩٠٦ :

Breasted , ARE , * IV = Breasted, J.H., Ancient Records of Egypt, Vol. IV. Chicago 1906 , p. 406 , note (a) .

ويستعرض البحث لتناول أحدث هذه الدراسات – كما سيتضح – فى صياغة مادته .

(٣) Spalinger, A., " The Military Background of the Campaign of Piye (Piankhy) , SAK, 7, 1979, p. 281

(٤) David O'Conner, " New Kingdom and Third Intermediate Period " in : Ancient Egypt, A Social History, Cambridge 1984, p.248 f .

(٥) GSTP = La stele triomphale de Pi (ankh) y au Musee du Caire, (JE . 48862 et 47086 - 47089) = MIFAO, 105, 1981, p1.V,L.3- 4 .

(٦) Kessler, D., Zu den Feldzugen des Tefnachte, Namlot und Pije in Mittelagypten, " SAK, 9, 1981, p. 239 .

(٧) GSTP , Pl. v , L. 6 - 7 cf. Pl.VI, L. 31 - 32

(٨) GSTP , Pl. IX, L. 88, 90 .

(٩) Cerny , J., Egypt from the death de ath of Ramsses III to the end of the Twenty - First dynasty , CAH , Vol. II, Part 2 B, Cambridge 1980, p. 616 -

---

* كل ماتحته خط = اختصارات ستتبع فى توثيق مراجع البحث .

(١٠) Yoyotte, J., Les principautes du Delta au temps de l`Ana - rchie Libyenne

= MIFAO, 66, 1961, pp. 142 - 151, 28 - 45.

(١١) يراجع الشكلان الثالث والرابع : GSTP, pl. IX, L. 79, 86.

(١٢) Breasted, ARE, iv, p. 419 ,وصص 818 ; Simpson, W., Studies in the Twelfth Egyptian Dynasty : I - II ", JARCE, 2, 1963, p. 58.

(١٣) Wb, lv, 95, lof; Gardiner, AEO, II, p. 213*; caminos, R., Late - Egyptian Miscellanies, Oxford 1954, p. 46.

(١٤) GSTP, p. 12, 3; cf .p.16, n. 26; p. 236 (A).

(١٥) لم تشر سائر أشكال فعل " ختم " فى نصوص اللوحة إلى مخصصا ، فذكرت فى السطور ٨١،٨٢،٩٦) وبهذا الشكل (فى سطور ٨٣ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ١٠٥ من سطور اللوحة)

(١٦) فالسياق الزمن فى النص ليس بحاجة إلى صيغة (سجم ن . ف) لذا فان (بر) فى محل فاعل هنا ، و(ن سبتى) مضاف إليه .

GSTP, Pl. IX, L. 86.

(١٧) تراجع دلالة بر (با) مع كلمة ختم فى (ختم بر واج ور = ثارو) :

Gardiner, AEO, I, p. 33*, II, p. 202* ; GSTP, p. 84, n. 237.

(١٨) وفى قصة الاستيلاء على " يافا " :

Wilson, J., The Taking of Joppa, in : ANET (ed. Pritchard. J., Princeton - 1969), p.23.

Meeks, ALex, III, p. 304.

(١٩) " قد " تعنى شيد أو عمر أو يكتنف (أو يدور على برج مثلا)

(٢٠) ان " تسمو (ت) " هنا بدل Apposition لعمارة جديدة .

(٢١) Breasted, ARE, IV, p. 433, 859, 861;cf. Gardiner, Gardiner, AEO, II p. 213* ; cf. p. 210* ; CSTR, p. 112, n. 322 ; cf . p. p. 116, n. 338.

(٢٢) Schulman, in : Natural History, 73, 1964, p. 19 f. = After Spaliner, SAK, 7, 1979, p. 282, n. 25.

(٢٣) Wb, v,410, 3 - 4; cf. Meeks, ALex., lll,p. 334.

(٢٤) يراجع منظر من الدولة الوسطى ، محمد انور شكرى : العمارة فى مصر القديمة ، القاهرة ١٩٨٦ ، ص ٨٧ .

(٢٥) Breasted, ARE, lv,p.420, parg. 819, p.42. parg.838, p. 431, parg.853, p.433, 861;cf,GSTP , p.16 n.26, p.84, n.235, p.236 (A); " outer wall " of Gardiner, Egyptian Grammar , London 1957, p. 587 :

(٢٦) GSTP , Pl.lx,L.89.

(٢٧) نقص فى النص هنا GSTP , pl.lx,L.89 - 90 .

(٢٨) GSTP , pl.lx,L. 94 .

(٢٩) cf. (r Tsj Trt hr s3w (t) . s gm . n w3t nt rdwy . n) = GSTP . 1 . 92

" ساثو " بمعنى الارض أو التربة " يراجع : Meeks , ALex., lll , p. 240 .

(٣٠) بمعنى يتسلق أو يقفز من فوق . Gardiner , Egyptian Grammar , p. 590 .

(٣١) عن " ثررى " بمعنى منحدر أرضى يراجع : Meeks , ALex., lll , p. 332 .

(٣٢) تعرضت " باك " للعديد من التفسيرات ، فهى نصب من الصقالات ، أو مدرج من الخشب أو سلم ، أو برج خشبى أو منصة .

GSTP , p. 61 , n . 134 ; Breasted , ARE , IV, p. 427, parg. 842, n. (b) ; Wb, I , 430 , 13 .

(٣٣) Wb , lll , 229 , 4 ; Spalinger , SAK , 7, 1979 , p. 282 , n. 25 ; cf . GSTP , p. 61 , n . 135 .

Meeks , ALex., III , p. 237 - 238 .

(٣٤) يراجع معنى العلامة وفعلها بمعنى " يسد أو يحمى " " سات " بمعنى " حامية " ومترادفات اخرى :

Jequier , M. G, Note sur deux Hieroghyphes (II le signe sa) , BIFAO, 7,1910,p. 94 - 96 .

(٣٥) عن " بسشت " بمعنى " قسم أو نصيب " يراجع :

Meek, ALex ., III, p.102, 102, Wb, I, 554,4ff .

(٣٦) ترجم " جريمال " فعل " شسى " هنا بمعنى أصلح أو رمم الجدران (ساوت) المتهدمة ، وترجمها برستد " مرفوعة " ، ولكن هذه المدينة لم تتعرض من قبل لحرب أو تخريب ، بل فتحت ابوابها لتاف نخت خشية منه (سطر ٤ من نصوص اللوحة) ، وهذه هى المرة الثانية التى تشير النصوص إليها .

لذلك يبدو أن الكلمة تتصل بوصف الـ " ساوت " لاعمارتها ! يراجع :

GSTP , p.84, 235, cf, Breasted, ARE, lv,p. 431, 853 .

(٣٧) GSTP , p.236 .

(٣٨) Gardiner , AEO II,p. 213 * .

(٣٩) Wb, I, 95, 10 .

(٤٠) عن عمارة هذه الأبراج الناتئة فى حصون النوبة وسوريا يراجع :

Weill , R., L`Art de la fortification dans la Haute antique egyptienne " , Journal Asiatique , 9 series , tome XV , 1900 , p. 110ff .; Clarke , S., Ancient Egyptian Frontier Fortresses,JEA,3,1916,pp.155-179; Badawy, A., " Architekturdastellu - ng (R epresentations of Military Architecture) , LA, I , sp . 415 - 471 .

(٤١) Curto , s., the Military Art of the Ancient egyptians , turin 1971 , p. 36 - 37 .

(٤٢) Ibid , p. 23 , cf , p . 9 (fig . without No.) .

(٤٣) Hall , H.R, La sculpture babylonenne et Assyrienne au British Museum , Paris - Bruxelles 1928 , pl XL .

(٤٤) Leo Oppenheim , A., " Babylonian and assyrian Historical Texts " in : ANET , p. 29 4ff .

(٤٥) cf, Brunner, H., " Ein Assyrisches relief mit einer agyptischer Festunng " AFO , 16 , 1953 , p. 257 - 258 , p. 262

(٤٦) فالمنظر يشير إلى قلعة يحوطها سور دائرى مزدوج ، وتغافل الفنان عن تصوير الفاصل بينهما ، وطراز هذا التحصين يأتى على غرار حصن " مرجيسة " ذى السور المزدوج (عصر الدولة الوسطى) ، إذ تبدو هناك مساحة واضحة تفصل بين السورين يراجع :

Ibid , p. 255 - 257 ; cf , Clarke , JEA , 3, 1916 , pl. 28 .

(٤٧) يراجع فنون وطرق الاقتحام :

Weill , La Art de la fortification ,p. 24off .

(٤٨) عن تحقيق هذا الجانب من المنظر من حيث : الملبس ، الريشة المنتصبة من فوق الرأس وملامح الوجه يراجع :

Brunner , AFO , 16 , 1953 , p. 258 - 260 ; Smith , W. S. , Inter - Conn-- ection in Ancient Near East , London 1965 , pp. 56 - 57 , Fig. 163 ; Spalinger , SAK , 7, 1979 , p. 283 , n . 26 .

(٤٩) Breasted , ARE , IV , p. 426 , parg. 838 ; Schulman , op. cit . , p. 19f ; Wb . I , 54 , 3 : cf Badawy , A ., LA , I , sp . 4

(٥٠) GSTP , p. 48, n . 119 , p. 236f , n . 739.

(٥١) تراجع العلامة في سطور ١٤٦،٩٦،٥٥،٤٢ من نصوص اللوحة ذاتها . ( ) Gardiner , Egyptian Grammar , p. 591 , 987 .

(٥٢) إن الفعل نفسه (سغنن) استخدم للاشارة إلى ماسلكه نمرث من هدم اسوار نفروس بسبب تقدم تاف نخت (نص٢) خشية أن تسقط في يد " تاف نخت " فتصبح نقطة حصينة للانطلاق إلى مدينة أخرى كما ذكر النص ذاته . GSTP , L-6-7

أما مدينة " نمرث " نفسه فقد استخدم النص فعل " وهن " بمعنى " هدم " أيضا لكن يبدو أنه كان من الصعب على مؤلف النص أن يحله محل " سغنن " التي تعين السبب . وفي مواضع أخرى استخدمت فيها اساليب أو آلات الحصار كانت تتبع بفعل سببي :cf . L. 32 , 91 .

(٥٣) cf , Meeks , ALex , III , p. 13 .

(٥٤) Meeks , ALex , III , p. 130 .

(٥٥) أي يجلب أو يقلع الحجارة (يقارن لقب " مس - انر ") KRI .II , p.38,8

(٥٦) weill , L`Art de la fort ., p. 112f , p. 239f .

(٥٧) Brunner , AFO , 16 , 1953 , p. 254 .